القرطاس والقلم

عـلاقـة الـقـراءة بـالـكـتـابـة

أحمد خلف

يختصر بورخس كتاب الرمل في القصة التي تحمل العنوان نفسه، بقوله عن خطورة الكتب وأهميتها بعد القراءة وما يتركانه من تغييرات حاسمة في حياة الإنسان، اعني القراءة والكتابة، إذ لا يمكن التفريق بينهما، وإذا كانت الكتابة في المفهوم السائد في أوساط المثقفين عبارة عن عملية خلق على الورق فإن القراءة هي إعادة لهذا الخلق من جديد وبصورة مستمرة...

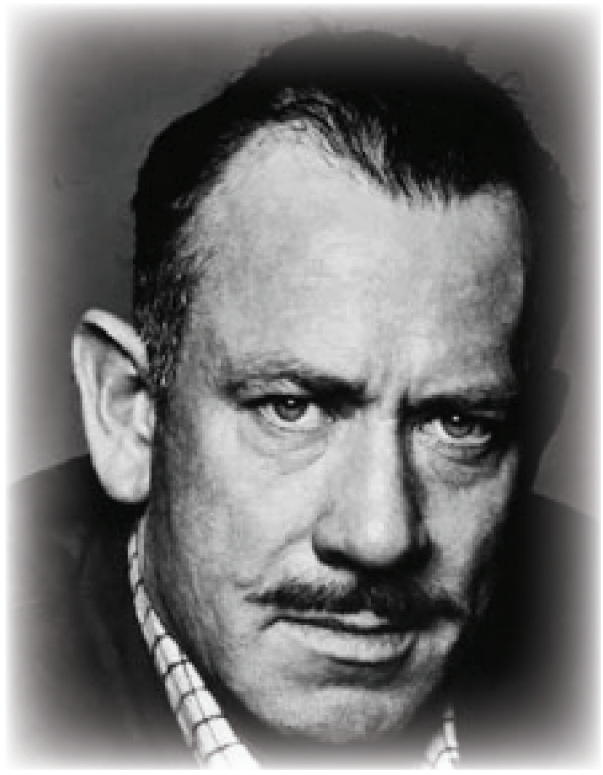
شتاينبيك

بورخس

يقول بورخس عن كتاب الرمل : ((فكرتُ بإحراقه لكنني خشيتُ إحراق كتاب لا متناه قد يخنق الكوكب بدخان لا ينتهي)) . بالتأكيد سوف تأخذنا الحيرة ليس من الكتاب بل مما يتركهُ من دخان لا ينتهي، إذن، نحن إزاء كتاب الكتب الذي حدثتنا عنه الأساطير القديمة، الكتاب المحفوظ في لوح مسطور، لوح لا ينتهي لا بالقراءة ولا بالكتابة، لوح ينتمي إلى القرطاس والقلم بكل جدارة لأنه يخلق نوعاً من الترابط والامتزاج، هذا التواشج والتزامن والترافق والعلاقة التي لا فكاك منها بين القراءة والكتاب، بين القارئ الذي يريد معرفة ما يجري داخل صفحات الكتاب، ولا يمكن للقراءة، أن تكون ما لم يكن لدينا ما نقرأه من كتب .. كتب، كتب أي واحد من هذه الكتب يمكن أن يدلنا على نقطة أو حالة سَبق لنا وعرفناها ولكننا أضعناها في خضم الكتب التي ما أنفك عقلنا يطلبها غير أننا ندرك وحالما نفتح أولى الصفحات من الكتب حتى يتيسر لنا معرفة كنهها وستزيدنا بمعرفة ما حصل وما جرى لنا في ما مضى من أيام. صفحات أو أوراق مكتوب فيها خبر أو لغز أو رمز لا نعرفه ونود الوصول إلى جوهره. والورق المكتوب دائماً يشكل لدى القارئ الممتاز فرصة لمعرفة ما جرى في غفلة منه،... يلتقط أحدنا الصحيفة التي وضعت على سطح مائدة الطعام، وتقع نظراتنا على خبر يثير الرغبة في الاستمرار في القراءة وتبدأ بالعنوان لتنتهي إلى سحب الصحيفة من على مائدة الطعام واستبدالها بصحيفة غيرها لأن الأولى تنطوي على أسرار وأخبار مثيرة.

أي حمية تستولي على نفوسنا حين تتلقف أيدينا كتاباً أو مجلة أو صحيفة أسبوعية لم يسبق لنا قراءة أي واحد منهن ولماذا يصر أغلبنا على قراءة المطبوع المنوع ذي الأخبار الفنية المليئة بالصور من صفحاته الأخيرة ويتم تأجيل الصفحات الأولى إلى حين الانتهاء من أخبار المشاهير والفنانين الكبار، ذلك ما ينطوي عليه الورق المطبوع من أسرار أو أخبار نجهلها ونريد معرفتها. والقراءة لا يصح أن تأخذ من حيث هي طاقة استهلاكية، قد يضطر إليها المرء بحثاً عن اللهو أو المتعة التي ينشدها كل قارئ يريد من القراءة ما يوفره الفلم السينمي، أو الأغنية العاطفية.. القراءة نشدان حالة من التوازن مع الذات والموضوع أيضاً. بل ينبغي علينا النظر إلى القراءة باعتبارها حاجة إنسانية ضرورية، من خلالها تتطور إمكانيات القارئ ويتقدم خطوة نحو الأمام كلما تطورت لديه العلاقة مع القراءة، أي أن تصبح سلوكاً يومياً، من خلال هذا السلوك تتفتح إمكانات المرء على مشارب متعددة وقد يلعب الوسط : البيت أو المدرسة دوراً مؤثراً وفعالاً في تنمية هذه الهواية التي نريد لها أن تغدو طريقة للعمل، خصوصاً، حين يكون وسطاً منتجاً للمعرفة والثقافة والفن. وتذكر د.مريم النعيمي من جامعة قطر عن إحصائية القراءة التي أعلنتها اليونسكو في سنوات قريبة ماضية : ((... كشفت اليونسكو في بياناتها عن نسبة مزرية لمقدار مقروء الإنسان العربي موازنة بنظيره الغربي، حيث يقدر متوسط ما يقرأه العربي في السنة بست دقائق مقابل اثني عشر ألف دقيقة للغربي)) وعلى ما في الاستفتاءات عامة من صيغ مبالغة أو عدم تغطية كاملة وشاملة لمعظم الفئات والطبقات عندما تجري استفتاءات من هذا النوع إلا أن أي رقم يمكن لنا ترشيحه بدل الست دقائق سوف يقف خجلاً أمام ما سجلهُ الإنسان الأوربي، وفي البحث عن معنى ذلك، سوف نجد أن الوسط الأوربي، وسط إيجابي ويتسم بالتحفيز على القراءة التي يمكن لها أن تكون أكثر أمتاعاً للإنسان من الكتابة.

في فتوتنا المبكرة يوم أنجزنا قراءة كتاب ألف ليلة وليلة، ذات الورق الأصفر – طبعة محمد علي وأولاده المصرية، بمجلداتها الأربعة، كنتُ أسير في أزقة مدينة الحرية، أرى الجدران تمتلك طاقة على الحركة أو الزوغان، والبيوت ذات الطابق الواحد، يهبها الله أو القدر قوة الحضور والغياب المفاجئ، تختفي البيوت بنوافذها وشبابيكها والنساء تبرز وجوههن من بين الأسلاك الناعمة، أرى الأولاد يغازلون الفتيات ولا يراهم أحد سواي كأني أرتدي طاقية الإخفاء، السفن تمخر المياه الدفاقة وهدير الأمواج يصم الآذان، البصر وحده سيد الرؤيا والسندباد البحري يأخذه الموج من ارض إلى أخرى ويحطُ في جزيرة ليرحل إلى جزيرة نائية، والمخيلة ما تكفُ تعمل على توفير المزيد من الصور والمشاهد في عقل الفتى الذي أدهشتهُ حكايات الليالي وقد تعلق بها حتى أصبح مؤلفاً للقصص والروايات. أي قوة قاهرة تطوح بخيالنا بعد القراءة المترعة بالتفاعل الحميم مع الكتاب؟ ترى أي جبروت تمتلكه تك المخيلة ومن أين تأتي اللغة العجيبة؟ الكلام والحكي المطبوع في كتاب ألف ليلة وليلة الحكايات والصور كل الصور التي ترسمها لنا الليالي ترسخ في لا وعينا وتبق شاخصة فينا حتى اليوم. وكيف لنا أن نصدق خروج الدخان من فم المارد وأنفه، ومن أين تأتي الروح لحبة الرمان أن تتحول الى أفعى أو سهم ينطلق ليردي العفريت؟ لكن حدة الصراع تعاظمت بحيث خيل الينا أننا نشهد معركة حقيقية عن قرب.. ترى أي قوة سحرية تمتلكها الكلمات بحيث يتجسد المشهد كله أمامنا ؟ .. وعلى مستوى الكتابة وليس القراءة فقط، يشبه أحد الكتاب المصريين الكتاب الأول الذي يؤلفه الكاتب بأنه ((مثل الحب الأول في حياة الإنسان والأولوية هنا لا تقاس بالسبق الزمني بل بحجم التأثير سواءً في وجدان الكاتب أو وجدان المحب)) ومثلما يمتلك الكتاب الأول الذي يؤلفه الكاتب قوة سحرية تصل الى مستوى الحب الأول، أعتقد أننا لا نستطيع نسيان أول كتاب فيض لنا قراءته، كتاب خارج مسار المدرسة أو الجامعة في فترة مبكرة، في تلك السنوات المبكرة من فتوتنا، حصلت على كتاب سوف يأخذني الى عالم الكتب، كان ذلك الكتاب هو رواية تواترت فيها الأحداث بانفعال السارد وتوفر عنصر التشويق المغري بالقراءة دون توقف .. الرواية هي ((أفول قمر)) للروائي الأمريكي جون شتاينبك، وظلت فكرة الرواية ((أفول القمر)) رغم أنها أندرست مع الزمن وضغط السنين الطوال. لكن أجواءها ولغتها وشخوصها ظلت راسخة في ذهني حتى الآن، كما أتذكر كتابي الأول : ((نزهة في شوارع مهجورة)، الكتاب الأول في القراءة ـ أفول القمر ـ حصلعليه من مكتبة أستاذنا مظفر النواب في العام ١٩٦١، أما كتابي (نزهة في شوارع مهجورة) فقد صدر في عام ١٩٧٤، ومنذ ذلك الزمن والكتابان يمتلكان مساحة واضحة في ذاكرتي ولهما نكهة خاصة ومذاق مختلف عن غيرهما، اعتقد أن ذلك يعود الى رائحة الزمن التي نفذت إلى روح الكتابين وربما لأن عشرات الصور تأتي وتغيب...

حين يستيقظ الكاتب صباحاً، وحالما يغادر سريره يذهب بخطوات وئيدة نحو منضدة الكتابة ليرى ما تركه وراءه في الليل وقبل أن يركن إلى النوم ليستسلم الى أحلامه الخاصة، من سطور قد تشجعه في الاستمرار على كتابه الشيء الذي لم يكتبه من قبل لكن منضدة الكتابة تمتلك قوة جذب لا يعرفها القارئ العادي أو أي شخص آخر كما يعرفها الكاتب الذي يبدع القصص ويكتب القصائد، لأن على سطحها يستقر القرطاس والقلم .. الكاتب باستطاعته مواصلة الكتابة صباحاً إذا شاء، يمسكَ القلم ليشرع بتسطير الكلمات لتستمر عملية الخلق صفحة بعد أخرى من صفحات قرطاسه الأزلي.

حرف علّة

■ عواد ناصر

مع أدونيس

علاقتي بأدونيس بسيطة جداً، لم تتعد زيارة (سهرة) في بيته بادر إليها صديقي الشاعر جليل حيدر، عندما كنا في بيروت لاجئين على اللاجئين، لكنني أعتبره "صديقي" مجازياً بين آلاف من مبدعي العرب والعالم الذين لم ألتقهم شخصياً.

الحوار الطويل الذي أجريته معه لحساب مجلة الشيوعيين العرب (النهج) التي كان يرأس تحريرها فخري كريم، في منتصف ثمانينيات القرن الماضي – صرنا نتكلم بالقرون لا بالسنوات! – كان حواراً إشكالياً رغم أننا لم نتحاور وجهاً لوجه، بل عبر الفاكس، اختراع تلك الحقبة السحري!

كان سؤالي الأخير لأدونيس: من أنت؟ هل أنت ماركسي، ليبرالي، متصوف، قومي، سوريالي؟

فأجاب: أنا كل هؤلاء!.

سأعيد نشر الحوار، قريباً، وأقدم له غير تلك المقدمة التي كتبها شاعر عراقي شاب في ثلاثينياته، ببيروت عام ١٩٨٥، لأوضح ملابسات اللقاء.

في رسالته الأخيرة إلى صلاح بوسريف يبدو أدونيس أكثر تماسكاً واسترخاء من ردود فعله المبكرة على أحداث سوريا، وما جاورها من (الربيع العربي).

أدونيس يتمسك بالجوهري المتعلق بـ"معضلة الحرية" في الوطن العربي، وسواء انفعل أو اضطرب أو استعجل، وسواء كان سوريالياً أم قومياً أم ليبرالياً أم صوفياً، فهو يضع يده حيث يضع كثيرون منا – كي لا أقول جميعاً، خبط عشواء –.

أخذ عليه بعضنا رسالته إلى "السيد الرئيس بشار الأسد" لأنها رسالة تحاول ترميم النظام السوري من داخله، كان هذا في بداية الأحداث، أو في مرحلتها المبكرة، وهي رسالة سياسية لا "شعرية" من مثقف/ مواطن سوري إلى رئيس بلاده، وليس في الأمر من ضير، ففي السياسة كل شيء جائز، من القتل حتى الحوار، ومن التعذيب داخل الأقبية المسمومة حتى مخاطبة الرؤساء، وهي سجية عربية بامتياز، فخياراتنا السياسية محدودة، وبعضنا كتب رسائل حتى إلى صدام حسين من دون أن يتوهم بأنه سيجد الوقت، أو المبرر، لقراءتها.

ملخص رسالة أدونيس إلى صلاح بوسريف هو: رجاء افهموني.. أنا ضد الطغيان والدكتاتورية، لكنني لا أقبل بسقوط طغيان لكي يقوم طغيان مقابل.

وقبلها قال أدونيس:"لست أناضل للخروج من خندق مظلم للدخول في خندق مظلم مقابل".

الأمر يمت بصلة لنا، نحن العراقيين، بعد رحيل صدام حسين، فمقالاتنا وافتتاحياتنا في صحافة "معارضة الخارج" – حيث لا صوت يرتفع في الداخل وقتها غير صوت صدام حسين – كانت بجملها ترسم للعراقيين أحلاماً وردية وتقول للأمريكان إن العراقيين سيستقبلونكم بالزهور والهلاهل، لكن لم يكن هناك حقل ولا بيدر، البتة.

يقول أدونيس في رسالته إلى بوسريف: "ميزتُ في الظّاهرة التي سُمّيت 'الربيع العربي' بين مستويين : الحركة الشّبابيّة التي أطلقته، والتيارات السياسية، وبخاصّة الدّينيّة الأصوليّة التي رافقته. امتدحت بقوة وحماسة تلك الحركة مشدّداً على أهمّيتها المزدوجة : تأتي عفويّة حارّة من التجربة الوطنية، لا من تقليد الحركات الغربيّة، وتفتتح مرحلة جديدة من العمل السّياسي العربي.

وفي الوقت نفسه، أبديتُ خشيتي من هيمنة تلك التّيارات التي لا أرى فيها إلا تنويعاً على القديم، يُعطل الحياة والفكر، ويُغلق أبواب الحريّة والتقدّم.

في تونس ومصر وسوريا واليمن وليبيا، على سبيل المثال، لم يطلق الإسلاميون الحركة، بل أطلقها شبّان وشابّات، تظاهروا، وكابدوا واستشهد بعضهم. لكنّ الحركات الإسلامية التي لم تكن صاحبة المبادرة، هيمنت بتنظيماتها واستولت على الإنجاز".

إنها "معضلة الحرية" عندما يودي "الآباء" بـ"الأبناء" هي أقصى حالات القسوة التي لا تحدث إلا في السياسة.

حنكة الآباء تحتوينا، دائما، سواء كنا ثوّاراً أم خانعين.

متابعة

تحـولات "النواكـز" المثـيرة في نادي الشعر

إن هذا المفهوم النقدي وإن كان العنوان غريبا بعض الشيء، فانا أجده كباحث لهذه الدراسات مليئا بالفراغات الثقافية ،وتلك الفراغات لها أسباب وتداعيات كثيرة ، وأحد هذه الأسباب هناك هوة كبيرة ما بين الوسط الأكاديمي والوسط الثقافي، وهناك أسباب معينة هي أن الوسط الأكاديمي كثير الانشغالات، اما الوسط الثقافي فهو في مكانته المعروفة بالنسبة للحراك الثقافي .

انطلاقة الشعر مع الألعاب الأولمبية بلندن

ترجمة/ عادل العامل

منذ إعلان عام ٢٠٠٥ بأن لندن سوف تستضيف الألعاب الأولمبية (صيف عام ٢٠١٢)، والحدث يحظى بالترحيب بمزيج من الإثارة، والندّية، والرهبة. وبموجب الصورة الجانبية الضعيفة للأولمبياد الثقافي فإن هناك الآن برنامجاً ملحقاً بدأ في عام ٢٠٠٨، ومن السهل أن يبعث على الشك في ما يتعلق بالتأثير المستمر للألعاب، ثقافياً ومعمارياً.

وهكذا فإن الانطلاقة الحالية لبرنامج "الكلمات الفائزة" في أكاديمية غلوب في ساوثوَرك تشكل مفاجأة لطيفة. ويمكن القول إن "الكلمات الفائزة – وهو برعاية بلوميرغ وبمساعدة من مجلس الفنون وجماعات ومتبرعين آخرين – هو مغامرة شعرية جديدة من (مؤسسة الفنون الأمامية(Forward Arts Foundation . وباعتباره مشروعاً طموحاً، فإنه يتضمن تنصيباً ثابتاً في المتنزه الأولمبي، وهو مصمَّم لتشجيع اللندنيين على دراسة وإبداع الشعر، حيث تُعرض الآن أعمال مختارة على أعمدة كهربائية في إيست أيند، وتقليدياً على الانترنيت، وهناك ١٥٠ قصيدة مختارة في متناول المدارس وجماعات الشباب.

لكن سمة المشروع الأكثر ملموسيةً، والأشد إثارةً هنا، هي أن الأعمال الشعرية قد تم التكليف بإلصاقها على نحو ثابت هنا وهناك في المتنزه الأولمبي. وقد بادر خمسة شعراء ـ كارول آن دَفي، ليم سيسَي، جو شابكوت، كارولين بيرد، وجون بيرنساييد ـ بالاستجابة بقصائد تترنم بالتراث الصخري لشرق لندن. وقد استلهم السيد بيرنساييد قصيدته "ركوب دراجات للسيدات" من اتحاد شرق لندن للمناديات بحق المرأة في الاقتراع وراكبة الدراجة النهمة سيلفيا بانكهَرست. وتحتفي قصيدته على نحو مازح بالحرية الموفرة لـ" الفتيات المتباريات و صانعات المكانس، / وهن يدرن على الدراجات من شارع إلى شارع". وبالمثل، يكتب السيد سيسَي عن معمل برايانت وماي ماتش، ومقالة كَتبتها آني بيزانت في عام ١٨٨٨ تصف الظروف البائسة للنساء العاملات هناك،

[مولودات في أحياء قذرة،
مدفوعات للعمل وهن ما زلن طفلات،
ضئيلات الحجم لأنهن ضئيلات التغذية،
مضطهَدات لأن لا عون لهن،
ومرميات جانباً حالما يستنفدهن العمل...]

ويمرح السيد سيسي أكثر من السيد بيرنساييد في الوقائع القاسية، ومع هذا يكتب بلمسة خفيفة تمنع شعره من السقوط في الدوغماتية.

هاتان القصيدتان، إلى جنب استغاثة جو شابكوت الغنائية عن قنوات توزيع المياه عبر الموقع الأولمبي، واحتفاء كارولين بيرد بجون ليتلوود، المخرج المسرحي، ستكون معروضة للزوار السائرين هنا وهناك في المتنزه الأولمبي. وربما ستجري قراءتها أيضاً. وعلى كل حال، فإن برنامج "الكلمات الفائزة" يمكن أن يكون له تأثير ثقافي مستمر، ويُلهم الشعراء الشباب مثل الطلبة من أكاديمية غلوب. غير أن حقيقة وجود هذا البرنامج على الأرض ذاتها سبب كافٍ للأمل.

عن / The Economist

المدى التقافي

الشاعر حبيب النورس قدم جلسة نادي الشعر في الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين بهذه الكلمات، والتي خصصت للدكتور قيس العطواني لإلقاء محاضرة بعنوان " مفهوم النواكز في رؤيا القصيدة العربية ".

وتحدث د. قيس العطواني الإعلامي والأكاديمي في الجامعة المستنصرية – كلية التربية، المتخصص في الأدب العربي القديم والحديث عن مفهوم "النواكز" في القصيدة العربية، وهي منهجية مقترحة لتحليل القصدية العربية، ما هي النواكز وما المقصود من هذه الكلمة: نلاحظ أن اللغة العربية التي تقوم عليها القصيدة تعتمد في اغلب الأحوال على آليات إبداعية باعثة ومثيرة في النص الشعري تبرز في البنيتين اللغوية والموسيقية لهذا النص.. هذه الآليات تعمل على ديمومة النص في بنائه وتحقيق الاستمرارية في خلق الصور الشعرية لضمان جذب المتلقي وتجسيد رؤيا الشاعر الكاملة ، وأطلقت على هذه الآليات الإبداعية "النواكز" التي تبحث في كل شيء داخل النص له دور في تكوين الرؤيا ، كل شيء يدفع النص الى الإمام، كل شيء يجعل من النص كتابة نهائية . واشير هنا إلى أن تجربة الشاعر في نصه الشعري تجعل من النص كتابة نهائية ، وأشير هنا إلى أن تجربة الشاعر في نصه الشعري، في اي عصر خلق فيه هذا الشاعر ، ترتكز على عامل بارز جدا من بين مجموعة عوامل تتضافر معا لتجسيد هذه التجربة، وهو قوة توظيف ظواهر التشكيل اللغوي والإيقاعي في هذا النص وصولا إلى تحقيق القدر الأكبر من التأثير في روحية المتلقي ، وكل ظاهرة لغوية وإيقاعية هي ناكزة دافعة النص الشعري لتكون التأثير في المتلقي.

وأضاف العطواني: من المهم جدا أن نعرف كيف نجد النواكز، وكيف تقوم بعملها في بلورة النص الشعري ومن ثم فهمه واستيعابه ، والنواكز مفردها ناكزة، في بعدها اللغوي المعجمي نرى لسان العرب لابن منظور يقول: "نكز" النكز الدفع، والضرب، نكزهُ نكزا، أي دفعه وضربه، والنكز طعن بطرف سنان الرمح، والنكز والطعن والغرز بشيء محدد الطرف، ونكز الدابة بعقبة ضربها يستحثها، عن أبي زيد الكسائي "نكزته ووكزته ولهزته ونفتته بمعنى واحد".

وقال عن النواكز الصرفية: هي طبيعة الكلمة من جانبها الصرفي من حيث دلالتها العامة على الفعل او الاسم أو الحرف ،كذلك دلالتها على الزمن والجنس والعدد أيضا من حيث تركيبها الوزني المأخوذ عن التركيب العروضي وما يحمله من دلالات الاشتراك في الزنة الصرفية بين لفظتين أو أكثر، بالطبع هذا النوع من التحليل يتضافر مع الصور البلاغية والجمالية للأسلوب مثل : التشبيه ،المجاز ،الكناية ،الطباق أو الالتفات وغيرها قبل أن أعطي المثال التطبيقي على منهجية النواكز في القصيدة العربية.

المحاضرة أثارت اللغط في الحضور الثقافي، لكونها غريبة من حيث التسمية والمضمون والدلالة، بالرغم من أن العطواني تمكن من إقناع الحضور بهذا المفهوم البلاغي، الذي يبدو غريباً والذي لم يتطرق إليه احد من قبل، وهذا ما يحسب للدكتور قيس العطواني .